

الممكنون في الأرض نظرة قرآنية

□ هوية الكتاب

اسم الكتاب : الممكنون في الأرض - نظرة قرآنية
اعداد : الشيخ عماد مجوت
الناشر: مركز الصادق للدراسات و البحوث الاسلامية التخصصية
الطبعة : الاولى
السنة : ١٤٣٩ هـ ، ٢٠١٨ م

العراق / النجف الاشرف - شارع المدينة - مقابل جامع الجوهرجي

الموقع الرسمي : www.center.alsadiq@org.ir

البريد الالكتروني : center.alsadiq@gmail.com

ادارة المركز: ٠٧٧٠٩٩٤٧٤٦٦





الممكنون في الأرض نظرة قرآنية

تأليف:

الشيخ عماد مجوت

الممكنون في الأرض



" وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِذْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ " (الحج: ٤١).

" فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكِبْتَ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ وَمَتَبَوَّى أَوْطَانَهُ وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ وَلَا اخْضُرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ وَإِيْمَ اللَّهُ لَتَحْلِبَنَّهَا دَمًا وَلَتُسَبِّعَنَّهَا نَدْمًا " نهج البلاغة الخطبة (٥٦)



الممكنون في الأرض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الباسط لعباده الأرض ، والجاعل فيها سبل العيش ،
والمستخلف فيها الصالحين الثابتين ، المستبدل بهم من جحد النعمة ،
وانكر الأحسان ، الممكن دينه لعباده الصالحين ، والمبدل لهم خوفهم أمنا
، الجاعل لهم عبادته فردا .

والصلاة على المبعوث بالهدى ودين الحق ، الذي وعد ليظهره على
الدين كله ، المبسوط له عالم الملك والملكوت ، الداعي الى الله في السراء
والضراء ، محمد المصطفى الحبل المتين والصراط المستقيم ، وعلى آله
سفن النجاة ، ونجوم الهدى ، ومصابيح الدجى ، ما دامت السماوات
والأرض ، وقام ملكك .

اللَّهُمَّ وَصَلْ عَلَىٰ وَلِيِّ أَمْرِكَ الْقَائِمِ الْمُؤَمَّلِ، وَالْعَدْلِ الْمُنْتَظَرِ، وَحِفْهِ
بِمَلَائِكَتِكَ الْمُقْرَبِينَ، وَأَيْدِهِ بَرُوحِ الْقُدُسِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ
الدَّاعِي إِلَىٰ كِتَابِكَ، وَالْقَائِمَ بِدِينِكَ، اسْتَخْلَفَهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْتَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ، مَكَّنْ لَهُ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ، أَبْدَلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ أَمْنَا
يَعْبُدُكَ لَا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا، اللَّهُمَّ اعْزِهِ وَاعْزِزْ بِهِ، وَأَنْصِرْهُ وَأَنْتَصِرْ بِهِ،
وَأَنْصِرْهُ نَصْرًا عَزِيزًا، وَأَفْتِحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا، وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا
نَصِيرًا، اللَّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ، وَسَنِّهِ نَبِيَّكَ، حَتَّىٰ لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ
الْحَقِّ، مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تَعِزُّ بِهَا
الْإِسْلَامَ وَآهْلَهُ، وَتَذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَآهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدَّعَاةِ إِلَىٰ

طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةَ إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرَزُّقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ....
وَتَجْعَلَنِي مِمَّنْ تَنْتَصِرُ بِهِ لِدِينِكَ وَلَا تَسْتَبْدِلْ بِي غَيْرِي .

وبعد

فلا يخفى ما لبسط اليد والتمكين من شأن في ترويح الدين واحياء
لشريعة سيد المرسلين صلوات الله عليه وآله الميامين ، ولا يمكن ذلك
لكل وارد بل هو مخصوص لمن وصف بانه من الصالحين ، وقد ورد عين
ماء الإحسان وثبت على صراط الحق في أيام البلاء ، ثم خرج من ذلك
معافى .

وهذا البحث يحكي بيان ذلك ، ويفصل في طياته معالم التمكين وأهله ،
برؤية قرآنية ، بعيدا عن التنظير السياسي ، والأفكار البشرية التي أثبتت
الأيام عقمها ، وأنها دول بين أهلها.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في كونها يمثل ورقة عمل الممهدين لأقامة دين الله في الأرض ، والساعين لتمهيد ذلك ، فهو يشكل برؤيته القرآنية الخطوات النظرية التي ترسم ذلك ، والتي ترسم الخطوات العملية والسنن التكوينية التي جعلها تعالى للمكنين في الأرض ، وفي نفس الوقت يوضح سنة الأسخلاف والاستبدال كذلك ، ليقف المرء على مكانه المناسب في ذلك .

والبحث يتعد عن التنظير السياسي البشري ، والتكيف البشري كذلك للآيات القرآنية ، ليجعل من القارئ مستمع فقط وفقط لكلمات الوحي ، كي لا يغري المؤمنين بوعود لا تثبت لهم ، وإنما يضع بين أيديهم كلمات ربهم التي وعد بها عباده لبسط اليد لهم وإقامة دينه على أيديهم ، ليجمع لهم بين تمكين البقاء والكمال .

ولا يدعى في هذا البحث برؤيته القرآنية أنه هو مقاصد السماء من أي القرآن الكريم المبحوث فيها ، بل هي رؤية قرآنية يغلب عليها تفسير القرآن بالقرآن ، فما كان فيه من هدى وصواب فهو من فضل الله تعالى وتوفيقه ، وهدى كتابه وبيناته ، وما كان فيه خلل و تشابه واشتباه فهو من مسود هذه الصفحات عفى الله عنه وعن والديه بلطيف عفوه .

خطة البحث

والبحث يقع في ثلاثة فصول يتخللها أبحاث متعددة ثم تليها خاتمة في الاستخلاف والاستبدال .

الفصل الأول: التمكين الهوية والأقسام

البحث الأول: هويته القرآنية

البحث الثاني: القران والتمكين،

البحث الثالث: التمكين الأفاضلي :

١- وسائل البقاء

٢- وسائل الكمال

الفصل الثاني: التمكين، الغاية، والحكمة

البحث الأول: التمكين والبلاء

البحث الثاني: التمكين والاستبدال

البحث الثالث: التمكين والاستخلاف

الفصل الثالث: التمكين الجزائي:

البحث الأول- التمكين الجزائي وعد الصادقين

البحث الثاني- التمكين والنصر الإلهي

البحث الثالث -عناصر الثبات للتمكين في الأرض

البحث الرابع -جزاء الثابتين: الأمن ، يجهم ويحبونه ، توحيد العبادة .

خاتمة في الاستخلاف والاستبدال

الفصل الأول: التمكين الهوية والأقسام

البحث الأول: التمكين هويته القرآنية

التمكين تفعيل من المكان، وهو إقرار الشيء وتثبيتته في مكان ما، كما في قوله تعالى: ((أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)) (المرسلات: ٢٠-٢١)، وكذلك قوله تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)) (المؤمنون: ١٢-١٣).

فجاء في الموردين بمعنى المكان المستقر، وهو الرحم، وقد يأتي بمعنى المكانة والوجاهة، قال تعالى: ((وَقَالَ الْمَلِكُ اثْنُونِي بِهِ اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ)) (يوسف: ٥٤)، وكذلك قوله تعالى ((إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ)) (التكوير: ١٩-٢٠)، فأستعمل في الموردين أيضا بمعنى المكانة والوجاهة والمنزلة الرفيعة. وقد جاء في القرآن الكريم بصيغة الفعل المسند إليه تعالى، فهو وحده من يمكّن الإنسان لما يشاء، ومن يمكّن للإنسان ما يشاء. فهو بهاتين الصيغتين: صيغة التمكين في الشيء، وصيغة تمكين الشيء، مسند إليه تعالى فقط.

البحث الثاني: القران والتمكين

ومنه يتبين إن التمكين بهذين المعنيين ينقسم الى معنيين:
 ١- تمكين مادي ٢ - تمكين معنوي

أما الأول: أي المادي فيكون بتمكين الإنسان من التصرف في الأرض ، وإعطائه القدرة على جعلها موطناً له ومستقراً لمعاشه، قال تعالى : "وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ" (سورة الأعراف، الآية: ٨) ، فالتمكين في الأرض إنما هو يجعل المعيش له ، وهو ما يضمن الاستمرار في الحياة من طعام وشراب ولباس كما في قوله تعالى : " وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ " (الحجر:١٩-٢٠).

ويدخل في هذا القسم، تمكين المال والقوة والأولاد، كما في قوله تعالى: " وَأَتَقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَاتٍ وَعَيْونٍ " (الشعراء ١٣٢-١٣٤).

ويدخل فيه أيضاً أدوات الكمال وتحصيل العلم كما في قوله تعالى: " وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (١٣٣) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ " (الحجر:١٩-٢٠).

فهذه الأدوات هي سبل كماله وتحصيل العلم الحصري ،
الذي به يدرك الحياة وغاياتها المقدسة التي أشار إليها
بقوله تعالى : " وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لِيَا
تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ " (النحل:٧٨).

وأما الثاني المعنوي ، فيتم فيه تمكين الانسان بتهيئة الأمن
له وتوفير الدين ، وقد أشار الى الأول في قوله تعالى :
وَقَالُوا إِن تَبِعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ تَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمْكِّنْ
لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَدُنَّا
وَلَكِن أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " (القصص:٥٧) ، وله وللثاني
بقوله تعالى " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ
مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا " (النور:٥٢).

وحيث اجتمعا تمهد للإنسان البقاء والكمال.
وبوجودهما يرتبط المادي بالمعنوي في حياة الإنسان ،
فيعيش الحياة الطيبة كما قال تعالى : " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ
ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (النحل:٩٧) .

البحث الثالث

التمكين الأفاضلي: وسائل البقاء والكمال

التمكين مفردة قرآنية تنجذب إليها قلوب العباد، وتشد إليها؛ لما تحمله من جمال باطني يسعى الانسان لتحصيله؛ ولما كان للتمكين أسبابه وأبوابه التكوينية والتشريعية الاختيارية، كان البحث عنه وعن الدخول في عالمه وتلمس نوره غاية يؤمها الانسان ويسعى للوقوف عندها والقران الكريم لم يغفل هذه الحقيقة كواقعيته في التعرض لكل حقيقة تلامس وجدان الانسان وفطرته فتحدث عنها وبين معالمها، وبين أدواتها التمكينية ووسائل بقاءها والموعدين بها.

ولم يفرق من ناحية تكوينية بين المؤمن وغيره في تهيئة سبل التمكين للإنسان للاستفادة من الارض وخياراتها ووسائل الكمال التي يدرج في سلمها ، بل قررها واقعية ثابتة للإنسان قال تعالى: { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ } ، (الأنعام: ١٢٨)،
فالتمكن بإرسال السماء وجريان الأنهار الذي يحقق مسائل البقاء في الحياة ، وقابله تعالى بقوله: { وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً } ، (الأحقاف: ٢٦) .

والتمكين هنا بالسمع والبصر والفؤاد الذي يهيئ سبل الكمال له ، فجعل تعالى له مقدمات البقاء والسعادة ، ومقدمات الكمال والتسامي ، حيث ذكر تعالى ان هذه الأدوات جعلت لأجل تحصيل العلم الموصل لمقام الشكر كما في قوله تعالى : " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَاتَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (النحل : ٧٨) .

فالتمكين الذي يطلبه الانسان بفطرته ، تحدث عنه تعالى على انه حقيقة يتقوم بها امتحان الانسان وابتلائه الذي هو مدار الحكمة من خلقه، وان تجاوز هذا الامتحان بنجاح موجب لا فاضة نحو اخر من التمكن كما ستاتي الإشارة اليه ان شاء الله تعالى .

فالتمكين الذي وهبه تعالى لم يفرق بين صالح وغيره، نبي وغيره ، قال تعالى : " أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعَيْوُنٍ " (الشعراء:١٢٨-١٣٤) . وقال عن قوم صالح: {أَتُرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوُنٍ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ . وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ} (الشعراء:١٤٦-١٤٩) .

الممكنون في الأرض

وفي سورة الفجر: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ } . (الفجر: ٧-١٠) .

وقال تعالى في سورة الأنعام: { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ } . (الأنعام: ٦) . وهكذا في سورة الأحقاف: { وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْتَدَّةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْتَدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } . (الأحقاف: ٢٦) .

وقال تعالى في تمكين الصالحين: { وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } . (يوسف: ٢١) وكذلك قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُنْصِبُ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } . (يوسف: ٥٦) .

وأخبر تعالى أنه أتى سليمان من كل شيء، وهذا غاية التمكين: { وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْتُمْ الطَّيْرُ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ } . (النمل: ١٦) .
وقال عن ذي القرنين: { إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا } (الكهف: ٨٤) .

نظرة قرآنية

وعن هذه الأمة قال تعالى: {وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي
الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} . (الأنفال: ٢٦) .

الفصل الثاني: التمكين ، الغاية، والحكمة

البحث الأول: التمكين والابتلاء

ولا يكاد ينفك التمكين من السنة الالهية الجارية مجرى الحكمة الالهية في الاختبار والامتحان والابتلاء والفتنة ، قال تعالى حكاية عن مطلق التمكين : " إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا " (الكهف:٧) .

وقال تعالى حكاية عن قول موسى عليه السلام مع بني اسرائيل في الاستخلاف : " قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ " (الأعراف:١٢٩) . وكذلك قوله تعالى : " ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (يونس : ١٤) .

وقال تعالى في التمكين من النعمة والبلاء معها : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَلْبِسَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) .

ولا يكاد يخرج من هذا الابتلاء والامتحان حتى الانبياء الذين مكن لهم في الارض كما في ما أعطاه الله تعالى لسليمان عليه السلام حين ارى تسخر العلم له : { قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي

أَشْكُرُ أُمَّ أَكْفَرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} (النمل : ٤٠) .

فكان عليه السلام مع عظيم المنزلة ملتفتا الى جريان الامتحان في كل أن ، ومن لطفه تعالى البلاء بالتمكين من الخير للرجوع اليه تعالى كما في ما أعطاه بني إسرائيل، قال تعالى: {وَقَطَعْنَا لَهُم فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (الاعراف : ١٦٨) .

أي اختبارناهم بالحسنات وهي النعم التي إن أعطيت لهم ، لأجل أنهم يرجعوا . وكذلك في قوله تعالى : {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} . (طه : ١٣١) . وكذلك قوله تعالى : " وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا " (الجن:١٦-١٧) .

فقوله { لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ } أي نختبرهم فيما صار اليهم من الخير الذي أوجبه استقامتهم ، وهل يبقون بعده على حال الاستقامة ، أم يصير حالهم الى الطغيان ؟ قال تعالى { إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ } (العلق : ٦ - ٧) .

وهو عين ما تقدم في قوله تعالى : { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } (الكهف : ٧) ، وان هذا النحو من الابتلاء لا يفرق فيه بين كونه سابقا على الاستقامة كما في قوله تعالى :

الممكنون في الأرض

{ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا
اسْتَطَعْتُمْ { (التغابن : ١٥ - ١٦) .
ام كان لاحقاً للاستقامة كما في الآية السابقة من سورة الجن .

البحث الثاني: التمكين والاستبدال

وحيث كان التمكين من مقتضيات الحكمة الإلهية الملازم لاستحقاق الجزاء المناسب كان ملازما لحفظ غاية الحكمة التي هي الشكر ، سواء كان تمكيننا ماديا أم معنويا ، والقرآن الكريم يبين السنن التي يمضي عليها التمكين من الافاضة الى الجزاء ، ومنه الى الاستخلاف ، فيتنوع التمكين بتنوعها ، قال تعالى : "وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطِفَكُمْ النَّاسُ فَأَوَاكُمُ وَأَيِّدْكُمْ بِبَصَرِهِ وَرِزْقِكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (الانفال: ٢٦) .

فالتمكين المعنوي الذي هو الأمن لأجل الشكر، وكذلك قوله تعالى: "وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ" (الاعراف-١٠) ، وكذلك غاية التمكين المادي في خيرات الأرض كم في قوله تعالى : " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (النحل: ٧٨) ، فغاية ذلك هو الشكر ، فكانت الغاية في الجميع تكمن في الطاعة والانقياد .

وهناك التمكين يمضي على سنة الإمهال والإملاء، قال تعالى: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ. فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الانعام : ٤٤-٤٥) .

الممكنون في الأرض

فهؤلاء فتح الله عليهم أبواب كل شيء من أدوات التمكين المادية والمعنوي ، من رعادة العيش ، والامن من التخطف والحرب ، وغيرها من اسباب الامهال والمد .

ثم بين ما فعل بهم بعد ذلك بقوله تعالى : فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ " (الاعراف: ١٦٥-١٦٦) .

وقال تعالى: {ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} (الاعراف : ٩٥) .

أي: أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة " حتى عَفَوْا " أي: كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم ، وحيث لم يشكروا اخذوا بما كسبوا .

ولا فرق كذلك بين استبدال وسائل المعاش ووسائل الكمال حين عدم القيام بحققها ، قال تعالى في ترك الشكر المعاشي ووسائل البقاء: {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ} (الانعام : ١٢٨) .

فكان استبدال التمكين لعدم مراعاة النعمة ، والاخذ بالذنوب ، موجبا للهلاك وانشاء غيرهم بدلا لهم .

وهكذا في ترك شكر نعمة وسائل الكمال بعدم الاستفادة منها في غايتها، قال تعالى: { وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (الأحقاف: ٢٦).

فلم ينتفعوا بما مكنوا به من وسائل العلم (السمع ، والبصر ، والفؤاد) ، بسبب جحودهم الذي أوجب ان يحيق بهم على نحو أوجب عدم انتفاعهم بها .

فهم على الحاليين لم ينتفعوا لا بوسائل البقاء وبوسائل الكمال ماديها ومعنويها فاستبدل بهم غيرهم .

البحث الثالث: التمكين والاستخلاف

ويقابل ما سبق من الاستبدال اللاحق للتمكين ، استخلاف لاحق له كذلك ، اي ؛ كما أنه تجري سنة التمكين المستتعبة للاستبدال مع عدم القيام بلوازم الشكر ، كذلك هناك تمكين يستتبعه استخلاف فيما لو أقيمت لوازم الشكر ، فهما يجريان على مقتضى الحكمة من سنة الجزاء والمكافأة ومقابلة الإحسان بالإحسان، والاساءة بما يقتضيها ، وهو حقيقة جزاء العمل بجنسه .

وهذا ما يمكن أن نسميه بالتمكين الأستخلافي ، لانه تمكين جاء على أرضية استحقاقية ، فهو تمكين استعقب تمكيننا ، ومن صورته ما حكاه تعالى عن يوسف عليه السلام : { وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيبٌ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } (يوسف: ٥٦-٥٧) .

فأجر الإحسان هنا جاء مستتبعاً للإحسان ، اي بعد اتصافه بكونه محسناً مكن له في الارض ، ثم تلاه تعالى بان التمكين انما هو أجر له ، وهو استحقاق احسانه ، ولذا قال { وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } ، اي هناك أجر غير أن أجر الآخرة خير منه .

ثم بين تعالى صور التمكين الاستخلافية اي الاستحقاق الجزائي في صورتين مثلت الاولى مقدمة للثاني ، وهي تهيئة مقدمات إقامة الدين والتي سيأتي الحديث عنها ان شاء الله تعالى ، حيث قال في موسى عليه

السلام: " وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " (القصص: ١٤) .

وقال في يوسف عليه السلام: " وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " (يوسف: ٢٢) . فالحكم والعلم اداتا التنفيذ ، ثم اعقبه تعالى بالصورة الثانية ، وهي إقامة الدين ، قال تعالى: " وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُنْصِبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ " (يوسف: ٥٦) . فالتمكين هنا بأنه تبؤا من الأرض حيث يشاء ، وانت ترى بأنه في الصورتين رتب التمكين على الأحسان اي على كونه محسنا ، والذي هو مقدمة أرضية التمكين للنظرية والتطبيق .

الأحسان والتمكين

ومن هنا كان من الظرورة بمكان الوقوف مع الأحسان في القران ، وسبيل التلبس به ، وطريق تحصيله . وقد وقف القران الكريم عند هذه المفردة كثيرا ، ملبسا لها ثوب الأجلال والنمزة الرفيعة ، وهي ثمرة جملة من السلوك الخارجي والروحي ذكرها القران الكريم في موارد منها :

1- التقوى المتقومة بصفات أربع ، قال تعالى : " وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " (آل عمران : ١٣٣- ١٣٤) . فذكر تعالى أن صفات المتقين ثلاثة ،

١- الانفاق سواء كانت حالتهم سراء أم ضراء .

٢- وكظم غيظهم عنده ،

٣- والعفو عن الناس عند إساءتهم ، " فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " (المائدة:١٣) . ثم أخبر تعالى بصفة جامعة لهذه الثلاث وهي الاحسان المقتضية لدخول المتصف بها في دائرة المحبوبين عند الله تعالى .

وأضيف الى هذه الثلاث التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله :
 " وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا
 يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ " (الزمر:٣٤).

٤- الطاعة والسهر ، وقيام الليل بالاستغفار ، والدعاء ، قال تعالى :
 (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
 قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧)
 وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) . (الذاريات : ١٥ - ١٨) .

وقال تعالى : "وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
 إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ " (الاعراف:٥٦)

٥- الأتقياد الى الحق : " وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ
 تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
 الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ
 يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ " (المائدة:٨٣-
 ٨٥).

وقال تعالى : " وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ
 وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ
 الْمُحْسِنِينَ " (الاعراف:١٦١).

٦- إتخاذ المواقف التي تشكل مبدأية الموقف مع أعداء الدين ، والذوبان
 في شخص النبي صلى الله عليه وآله ، قال تعالى : " مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ

وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ
عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ
عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (التوبة: ١٢٠).

٧- الصبر والثبات على الحق ، قال تعالى : "وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ" (هود: ١١٥) . وقال تعالى: "قال أنا يوسف وهذا أخي قد من
الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين" (يوسف
: ٩٠) .

٨- وحدة السلوك ، من دون تأثير المكان والزمان والمنزلة على ذلك ،
قال تعالى : " وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ
خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا
بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" (يوسف: ٣٦) . فوصف وهو في السجن
بأنه محسن . وكذلك وهو عزيز لمصر ، وقال تعالى : " قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ
إِن لَّهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" (يوسف :
٧٨) .

٩- الجهاد الأصغر والأكبر منه ، والاشتغال بتهذيب النفس ، قال
تعالى: " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ
" (العنكبوت: ٦٩) .

١٠- التسليم لأوامر الله تعالى ، قال تعالى : " فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ
(١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ " (الصافات : ١٠٥) .

١١- إقامة شعائر الله ، من الصلاة والزكاة ، واليقين بآيات الله تعالى :
" الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣)
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ " (لقمان :
٤-١) .

التمكين في الأرض

التمكين الأبتلائي

وهنا نحو اخر من التمكين وهو داخل في الحكمة الإلهية ايضا إذ لا يكاد أن يخرج من حيطتها شئ ، فالأبتلاء قد يأتي أبتداً منه تعالى بصورة التمكين ، ولكنه قد يأتي تارة أخرة بلسان السؤال من العبد ، وهنا كما في سابقه فقد يقوم العبد بإداء حق التمكين فيكون شاكرا ، وقد يتنكر له فيكون كافرا ، فالأول مستخلف ، والثاني مستبدل .

فالتمكين الذي أعطاه الله تعالى ليوسف عليه السلام من غير مسالة منه ، وهو الذي كان الحديث المتقدم حوله .

وهو غير التمكين الذي أعطاه تعالى لسليمان عليه السلام ، قال تعالى عن الأول : " فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ... وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " (يوسف: ١٥-٢١) ، فلم يطلب يوسف عليه السلام شيئا ، إلا أنه مكن ابتدا .

أما سليمان عليه السلام فطلب التمكين بلسانه ، قال تعالى : { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } فوهب له تعالى ما اراد ، قال تعالى : " فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ

رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ (٣٧) وَأَخْرِينَ مَقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ " (ص: ٣٥-٣٨) .

وهذا النحو من التمكين فيه خصوصية السؤال المتميزة عن الأول الذي فيه خصوصية الاحسان ، وهو كما تقدم نحو ابتلاء ينشده العبد بنفسه ، وقد يستخلف بشكره ، وقد يستبدل بكفره ، قال تعالى عن سليمان عليه السلام عندما رأى عرش بلقيس مستقرا عنده : " قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ " (النمل: ٤٠) .

فلم يشغله استقراره عنده عن الالتفات الى هذا ابتلاء رباني تجاوزه بالشكر له تعالى ، وكذلك في حديثه مع النملة : " وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ " (النمل: ١٩) .

فلم يشغله عليه السلام عجب قولها عن الالتفات لاداء شكره تعالى .

أما المستبدل بكفره ، كما في حديث المعاهد لله تعالى إن مكن من الخير يقوم بأداء شكره ، قال تعالى : " وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لئن آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوننَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ " (التوبة : ٧٥-٧٧) .

فهو قد سأل بلسانه التمكين من الخير ، وعاهد الله تعالى عليه ، ولكنه تولى وأعرض " فَلَمَّا آتَاهُم مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ " ، فاستبدل بعد كفره " فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . "

ومنه يتبين أن سؤال التمكين إذا لم يكن المرء واجدا لخصائص القيام بواجبات الشكر قد يؤدي به الى نهاية الاستبدال المتأبد " فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ " ، فيوسف عليه السلام سأل التمكين أيضا ولكنه بمقومات التمكين وإقامة الوظيفة الاستخلافية ، قال تعالى : " قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْم (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ " (يوسف:٥٦) .

حيث ذكر عليه السلام ما يتميز به من خصائص النجاح فيما يسأل وهما " الأمانة والعلم " ، فما لم يجد المرء من نفسه القدرة على القيام بوظيفة التمكين فلا يجعل نفسه في معرض الأبتلاء ، فان يوسف عليه السلام لم يقدم على ذلك إلا وهو كفو له ، قال تعالى : " فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ

دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوْلَانَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " (الزمر:٥٠) ، فأدعاء العلم لم يغني عنه في تجاوز الفتنة والأبتلاء ، بخلاف المتصف بها حقيقة ، قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام لأداء شكر ما كان له بقوله تعالى : " رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ " (يوسف:١٠١).

وسنة الابتلاء جارية على مقتضى الحكمة سواء كان التمكين ابداء أم سؤالا ، وسواء كان يستعقب الاستبدال أم الاستخلاف . ففي كل أن المرء بين ان يكون مستخلفا وبين ان يكون مستبدلا ، ثم يستعقب التمكين السابق تمكيننا لاحقا ، والاول ابتلاء الطاعة والآخر ابتلاء إقامة الدين ، وهو مدار الكمال الاستخلافي .

الممكنون في الأرض

تمكين الأنتصار لله تعالى

من جميع ما تقدم تبين ان هناك تمكين إلهي لجميع العباد يتمثل بتهيئة الأسباب الموجبة للمعاش في الدنيا، وهو المسمى بتمكين البقاء ، يتعقبه نحو اخر من التمكين يسمى بتمكين الكمال ، قد يكون مترتبا على الأتصاف بالاحسان ، وقد يكون مترتبا على السؤال منه تعالى بالمباشرة ، وعلى النحويين من التمكين (البقاء ، والكمال) ، فإنهما داخليين تحت الحكمة الإلهية ، قال تعالى : " إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ " (التغابن : ١٥) وكذلك : " وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ " (الأنبياء:٣٥) التي هي الأبتلاء كم ذكره تعالى بقوله : " إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا " (الكهف : ٧) .

وعلى النحويين فهو على هدى من ربه فطري لطريقي الخير والشر ، قال تعالى : " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " (الإنسان : ٣) ، والشكر يستتبع إستخلافًا ، والكفر يستتبع إستبدالًا .

ومع الثبات على الأستقامة يفتح للثابتين نحو آخر من التمكين ، يتمثل بتمكين الأستخلاف ، فهو امتداد لتمكين البقاء ، والكمال . وهو التمكين الذي يتمهد بالأنتصار لله تعالى ، قال تعالى في بيان أن حقيقة الأبتلاء متقومة حتى مع بعثة الأنبياء بالأنتصار لله تعالى : " لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ

وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ
وَرَسُولُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" (الحديد : ٢٥) .

ثم قال تعالى من المنصور من قبله : " وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِذْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ " (الحج : ٤١) .

فجعل تعالى نصرته للذي ينصره ، ثم بين المتنصر لله بأنه الجاعل لما مكنه
الله تعالى في الأرض سببا لإقامة الدين ، من الصلاة والزكاة والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر .

الممكنون في الارض

ولما كان التمكين سابقا ولاحقا ، والاحق لا يكون الا مع الثبات ؛ وكان التمكين المستتبع للنصر مقرونا بإقامة الدين كانوا هم المستخلفون في الارض المؤمنون بها، قال تعالى: " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (النور: ٥٥).

فقوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}. وعد منه تعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض بان يجعلهم خلفاء الأرض، بيسط اليد، ونفوذ الكلمة، وقد ذكر تعالى أن طاعته تعالى والإيمان به، والعمل الصالح سبب للقوة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة، قال تعالى: {واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره} ﴿الأنفال: ٢٦﴾.

وقوله تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} الحج: ٤٠-٤١ وقوله تعالى: {إِنْ تَصْرَفُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} ﴿محمد: ٧﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

ومن الآيات الموضحة لذلك : قوله تعالى : { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ } ﴿ القصص : ٥٦ ﴾ وقوله تعالى عن موسى عليه السلام وعلى نبينا الصلاة والسلام : { قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } ﴿ الأعراف : ١٢٨-١٢٩ ﴾ .

ثم ذكر تعالى تحقق الوعد الإلهي لهم بقوله تعالى : { وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ } ﴿ الأعراف : ١٣٧ ﴾ .

فتمام الكلمة الحسنى هي وراثه الارض في قوله تعالى : { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ } " (القصص : ٥٦) .

الممكنون في الأرض

ولا يخرج عن دائرة الوعد الإلهي خارج ولا في بابه محاباة جل شأنه ، فهو قضاء تكويني كتبه على نفسه لا يختلف ولا يتخلف ، فمنهم الصبر ومنه تعالى النصر ، فمنه التمكين في الأرض افاضة للامتحان ، ومنهم إقامة الدين بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصبر على المكاره ، ومنه تعالى أن يمكن لهم الدين الذي يرتضيه جزاء واکراما كما في قوله تعالى : { وَلِيَمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ } تثبيته وتوطيده وهذا الدين الذي ارتضاه لهم هو دين الإسلام كما بينه في قوله تعالى : { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً } المائدة : ٣ .

وقوله تعالى : { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } آل عمران : ١٩ . وقوله تعالى : { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } ، آل عمران : ٨٥ .

وهذا وعد الهي بالتمكين في الأرض للعباده الصالحين قال تعالى : { ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين } (الأنبياء : ١٠٥-١٠٧) .

الفصل الثالث : التمكين الجزائي: وفيه أربعة أبحاث

البحث الأول -التمكين في الأرض وعد الصادقين

من الامور الفطرية المنسجمة مع فطرة الانسان مسالة إقامة الدين ، الواقعة محل الجواب عن علاقة التمكين مع إقامة الدين ، فكما ينطوي الانسان في أعماقه على ما يدفعه للبحث عن الدين كذلك هناك في أعماقه ما يدعوه الى إقامته ، وهذه حقيقة قرآنية صدح بها القران الكريم في قوله تعالى: " فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " (الروم: ٣٠). فالآية ذكرت ثلاثة أمور :

الأول: الأمر بإقامة الوجه للدين مستقيماً " فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا " الذي مثله فتية أهل الكهف قال تعالى عنهم: " وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا " (الكهف: ١٤).

وسياتي إن شاء الله تعالى انه سبيل النبي صلى الله عليه واله في قوله " قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ " (يوسف: ١٠٨) .

الثاني: إن هذه الاستقامة هي مقتضى الفطرة "فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ" . وان هذه الفترة لا تتبدل لانها من خلق الله

الممكنون في الأرض

وهو غير قابل للتبدل ، نعم قد لا يلتفت إليه فيما لو شغل المرء بنفسه وديناه .

الثالث: الإشارة الى إن الغفلة هي الشاغل عن إقامة الدين وهي وليدة عدم العلم " ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ". وقد أشار تعالى في آية أخرى الى هذه الحقيقة بقوله تعالى: " فَأَقْمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيَمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ" (الروم: ٤٣)، فالدين القيم الذي يكون عن الفطرة هو الدين الذي يمهّد لإقامة أحكام الله تعالى في الارض كما في قوله تعالى: {الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر} {الحج: ٤١}.

وإقامة الدين مرتبطة بالتمكين في الارض ، و هو أمر مرتبط به تعالى حيث كرره كثيرا كما في : {ولقد مكناكم في الأرض} {الأعراف/ ١٠} {ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه} {الأحقاف/ ٢٦} ، {أو لم نمكن لهم} {القصص/ ٥٧} ، {ونمكن لهم في الأرض} {القصص/ ٦} ، {وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم} {النور/ ٥٥}.

لان الانسان قد يمكن في الارض ولكنه لا يقيم الدين ، كما في قوله تعالى " أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّانَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِيًا مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ" (الأنعام: ٦) ، فتمكنوا ولكنهم اهلكوا ، بذنوبهم ثم جاءت سنة الاستبدال .

صور التمكين في الارض

والتمكين هو حالة تهيئة أسباب القدرة والبسط فيقال: مكنته ومكنت له فتمكن أي: متمكن ذي قدر ومنزلة. وله صور متعددة منها :
 ١- يكون بتهيئة الأرضية والاستقرار فقط ، كما في أول حال يوسف عليه السلام : "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (يوسف:٢١) . فقوله تعالى وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ . ليس إلا لتهيئة سبيل الاستقرار مما كان عليه وليمهد لقوله تعالى : "وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" .

٢- إن يكون بتهيئة الواجهة والمنزلة المفضية الى نوع من السلطنة كما في قوله تعالى: " وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) ... وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيبٌ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (يوسف:٥٤-٥٦). فصورة التمكين هنا تختلف عن سابقتها من حيث السلطنة التي معها يستطيع إقامة الدين.

٣- إن يكون بتهيئة أسباب بسط اليد والقدرة المطلقة في التصرف كما في قوله تعالى : "وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا" (الكهف:٨٤) فبسط

اليَد له مكنه من بلوغ المشرق والمغرب ، قال تعالى : " حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ... حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا " (الكهف: ٨٦-٩٠). وهي تختلف عن الصورتين السابقتين . من القدرة والنفوذ ، وبلوغ كلمة الله تعالى على يديه مشارق الأرض ومغاربها .

وفي جميع الصور المتقدمة حصل التمكين منه تعالى ، وإقامة الدين ممن مكنه فتحقق قوله تعالى : " الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ " . (الحج: ٤١).

البحث الثاني- التمكين والنصر الإلهي

ومن حيث صدقوا الله حيث مكنهم ونصروه حيث مهد لهم، وفي تعالى بعهدة لهم ونصرهم وهو صدق وعده تعالى السابق على هذه الآية حيث قال تعالى: "وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ".

حيث أقسم لينصرن من ينصره ، ولا ينصر تعالى إلا من نصره بإقامة دينه بإتيان أوامره ، والوقوف عند نواحيه وإعلاء كلمته ومؤازرة رسله ومن اقتدى بهديهم وإتباعهم ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ } ﴿ محمد : ٧-٨ ﴾ وقوله تعالى : { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } ﴿ الصافات : ١٧١-١٧٣ ﴾ وقوله تعالى : { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي } ﴿ المجادلة : ٢١ ﴾ وقوله : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ } ﴿ النور : ٥٥ ﴾ الآية .

وقوله تعالى: {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ} ﴿الحج:٤١﴾. بيان للموعدين بنصره تعالى وعكسها دليل أنه لا وعد منه تعالى بالنصر لأحد إلا مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. فمن مكن له في الأرض وبسط له تعالى اليد والسلطان، ومع ذلك لم يسعى لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فليس لهم من الله وعد بالنصر ، لأن الموعود بالنصر من كان حزبه

الممكنون في الأرض

وأولياءه الذين يقيمون الدين ، أما من لم يسعى لاقامة الدين فليس من
حزبه ، ولا من أوليائه الذين وعدهم بالنصر، بل هم حزب الشيطان
وأولياؤه .

ومن هنا فلو طلبوا النصر من الله بناء على أنه وعدهم إياه، كان طلب
لمطلوب مع تخلف شرطه .

البحث الثالث - عناصر الثبات للتمكين في الأرض

وحيث كان تمكين الاستخلاف جزاء للثبات ، كانت معرفة عناصره مقدمة على سؤال الاستخلاف ، مقدمة كل مقدمة على نتيجتها ، وشرط على جزاءه ، فأن الوعي والبصيرة في العمل سبيل الإستقامة ، يقول أمير الإستقامة عليه السلام : " فليصدق رائد أهله و ليحضر عقله و ليكن من أبناء الآخرة فإنه منها قدم و إليها يتقلب فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله أن يعلم أ عمله عليه أم له فإن كان له مضى فيه و إن كان عليه وقف عنه فإن العامل بغير علم كالسائر في غير طريق فلا يزيده بعده عن الطريق إلا بعداً من حاجته و العامل بالعلم كسائر على الطريق الواضح فلينظر ناظراً سائراً هو أم راجع " ١

وفي هدي القرآن إضاءات لسلمات الثابتين على طريق الابتلاء ، وهي سمات دل عليه القران بدلالة الهداية بلسان الحال والمقال ، وهي متمسمة بنحو الأستقراء غير التام فلربما وقف أهل البصائر على غيرها ،
منها :

نصرة الحق وأهله

١ - نصرة الدعاة الى الحق ، وبذل النفس من أجل ذلك ، كما في مدح القرآن للرجل المناصر للمرسلين الواقف مع قومه لأجل الهداية ، قال

١ (نهج البلاغة: الخطبة : ١٥٢) .

تعالى : "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ" (يس: ٢٠-٢١) .

وكذلك في الرجل المخلص لموسى عليه السلام : " وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ " (القصص: ٢٠). حيث نصح له حتى لا يقع في قبضة فرعون .

وأشار إليه تعالى في قوله : " فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ " (آل عمران : ٥٢) ، ثم دعا المؤمنين لتشبه بهم في نصره الدعوة الى الله تعالى ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ " (الصف : ١٤) فقوله تعالى { فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ } { إشعار الى نصره تعالى للذين نصروا الله ونبيه ، وهي جارية في كل منتصر للحق وإعلاء كلمته تعالى ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصَرُوا لِلَّهِ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ " (محمد " ٧) .

فنصره تعالى مرتبط بمن ينصره ، وعكسها من لا ينصر لا ينصره ، قال تعالى : " إِن يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ " (آل عمران : ١٦٠) .

ومع عدم نصرته الحق وأهله فلا نصر منه ، وكل ما عداه تعالى زخرف ووهم ، قال تعالى : " أَمْ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ لِأَلْفِ فِي غُرُورٍ " (الملك : ٢٠) .

ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في بيان نصرته الحق والثبات عليه يبين ذلك :

" وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلْمِ وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُونَا يَتَصَاوِلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُونَا وَمَرَّةً لِعَدُونَا مِنَّا فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكِبْتَ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ وَتَمَبَوِيَّ أَوْطَانَهُ وَلِعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ وَلَا إِخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ وَآيِمَ اللَّهُ لَتَحْلِبْنَهَا دَمًا وَلَتَتْبَعْنَهَا نَدْمًا " ١

عدم سؤال الأجر على إقامة الدين

٢- الأبتعاد عن الماديات وما يتعلق بها من أجر على الدعوة لله تعالى ودينه ، فإنه لا يقايس بالتمكين الإلهي ، قال تعالى حكاية عن ذي القرنين : " قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكْنِي

١ (نهج البلاغة : الخطبة : ٥٦) .

فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا " (الكهف : ٩٤-٩٥) .

فالقائد الإلهي ، والسائرون على نهج الأنبياء لا يسألون الاجر ، بلحاظ اعمالهم ، ومن هنا قال بعد أن عرضوا عليه الخراج اي الاجر" قَالَ مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ " . فالتمكن الرباني لا يقابل بالممال ، وقد ذكر الله تعالى في كثير من آياته ان منهج الأنبياء هو عدم سؤال الأجر ، قال تعالى في عديد من آياته على لسان أنبياءه : " يَا قَوْمِ لَأَسْأَلَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ " (هود : ٥١) .

فهم لا يسألون الأجر ، وهو هدى من هدى الأنبياء الذي هداهم تعالى إليه ودعى نبيه الخاتم صلى الله عليه وآله بالأقتداء به بقوله تعالى : " أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَأَسْأَلَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ " (الأنعام : ٩٠) .

ثم دعى المؤمنين لأتباعه صلى الله عليه وآله بقوله تعالى : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " (الأحزاب : ٢١) .

ومن هنا كانت أول صفة تحدث بها الداعي الى إتباع دعاة الحق أنهم لا يسألون أجرا ، قال تعالى : " وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ " (يس : ٢٠-٢١) .

إطاعة القادة الربانيين

٣- ومن حيث أنهت دعوة الرجل الداعي الى نصرة اهل الحق والدعاة إليه في قوله: " قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ " (يس: ٢٠-٢١) .

تبدا مساحة عنصر جديد من عناصر الثبات ، يتمثل في إطاعة ولاة الأمر الربانيين الإلهيين ، فلا يكفي الوقوف معهم والدعوة إليهم عن نصرتهم والطاعة لهم ، فلا إتباع وثبات إلا بالطاعة ، قال تعالى حكاية عن قوم طالوت ، الذين خرجوا في ركابه ليقاتلوا معه ولكنهم لم يطيعوه : " فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ " (البقرة : ٢٤٩) .
فالقائد الإلهي الذي نصبه نبيهم " وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا " ... (البقرة : ٢٤٧) وخصه بخصائص القيادة الربانية " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ ... " وجعل للملكه آية ربانية وحيانية " وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مَلَكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ " (البقرة : ٢٤٨) .
أمرهم بما يوجب الثبات ، ونهاهم عما يوجب الزلل ، ولكنهم لم يطيعوا ، فزلت بهم الأقدام بعد ثبوتها : " فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ " .

فلم يكن مع الثبات بالطاعة إلا القليل ، فتعقب الثبات المتمكين الأستخلافي " قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ " (البقرة: ٢٤٩-٢٥١) .

فلاتكاد تثبت قدم في مجرى حكمة الأبتلاء إلا مع الطاعة ، قال تعالى :
{ وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا } ﴿ النور : ٥٤ ﴾ .

وصورة أخرى من صور الثبات مع طاعة القادة الإلهيين الربانيين ، حيث بنوا إسرائيل مع موسى عليه السلام ، سائرون بركابه ، فكان الأسخلاف للثابتين بالطاعة ، والستبدال للمتولين بالخلاف عليه ، قال تعالى : " يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ " (المائدة : ٢١) .

فإذا هم فريقان ، والكثرة كسابقتهما مع طالوت ، زلت بهم القدم :
" قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ " (المائدة : ٢٢) .

ولم يكن الثبات إلا لرجلين منهم : " قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " (المائدة : ٢٣) .

فأستبدلوا بعد ما كانوا على الحق وفي ركابه ولكنهم لم يطيعوا قاداتهم ، قال تعالى : " قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" (المائدة : ٢٦) .

ومن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام بعد إخماد شوكة المارقين وقتلهم بيد المؤمنين قال المسعودي: وجمع علي (أمير المؤمنين عليه السلام) ما كان في عسكر الخوارج، فقسم السلاح والدواب بين المسلمين ورد المتاع والعييد والإماء إلى أهلهم ثم خطب الناس فقال: "إن الله قد أحسن إليكم وأعز نصركم، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم.

فقالوا: يا أمير المؤمنين قد كلت سيوفنا، ونقدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنافدعنا نستعد بأحسن عدتنا".
(قال): وكان الذي كلمه بهذا الأشعث بن قيس (فركن الناس إلى ذلك).

(فكان جوابه عليه السلام (أن قال لهم): " يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ". فتلكثوا عليه وقالوا (يا أمير المؤمنين): إن البرد شديد ؟ !! فقال (عليه السلام): إنهم يجدون البرد كما تجدون. فتلكثوا ؟ ! وأبوا !! !

فقال: أف لكم إنها سنة جرت ! ثم تلا قوله تعالى: (قالوا: يا موسى إن فيها قوما " جبارين ، وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون) (المائدة : ٢٢).

فقام منهم ناس فقالوا: يا أمير المؤمنين الجراح فاش في الناس - وكان أهل النهروان قد أكثروا الجراح في عسكره عليه السلام - فارجع إلى الكوفة فأقم بها أياما " (ثم اخرج خار الله لك).
(قال المسعودي:) فعكسر علي (عليه السلام) بالنخيلة فجعل أصحابه يتسللون ويلحقون بأوطانهم فلم يبق معه إلا نفر يسير^١.

الدعوة الى الله تعالى عن بصيرة

٤ - وإذا تقدم بيان العناصر المتقدمة من عناصر الثبات اي " نصره الدعوة الى الحق ، وبذل النفس من أجل ذلك " مقرونا " بالأبتعاد عن الماديات وما يتعلق بها من أجر على الدعوة لله تعالى ودينه ، وطاعة القادة الإلهيين " ، يأتي الحديث عن مقوم العناصر السابقة والذي يمثل إستقامة ما تقدم ، وهما عنصران يمثلان وحدة موضوعية ، وهما حصر الدعوة إليه تعالى وان تكون على بصيرة ، قال تعالى : " قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ " (يوسف: ١٠٨) .

١ نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة / الشيخ المحمودي ج ٢ ص ٣٠٠.

فسبيل النبي صلى الله عليه وآله متقوم بإمرين :
الأول : الدعوة الى الله تعالى خالصا والذي يمثل الدين الخالص المأمور به .

والثاني : أن يكون على بصيرة ، ثم ذكر تعالى أن هذا السبيل ثابت كذلك للمؤمنين المتبعين له صلى الله عليه وآله ، وذكر تعالى أن المعرض عن هذا السبيل خارج عن الرعاية الإلهية ، قال تعالى : " وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا " (النساء : ١١٥) .

فيولى ما خطه لنفسه ، وهو نحو من المد له في غيه الذي هو غير سبيل النبي صلى الله عليه وآله ، والذي يمثل الصراط المستقيم ، قال تعالى : " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (الأنعام : ١٥٣) .

فمن يتبع سبيل المؤمنين يسلك الصراط المستقيم ، ومن يتبع غيره يولى غيره ، قال تعالى : " مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كُلًّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا " (الإسراء : ١٨-٢٠) .

فهذا سبيل النبي صلى الله عليه وآله متمثل بهذين الأمرين والخروج عنهما خروج عن الثبات ، فلا يخالط الدعوة الى الله تعالى غيره لأنه

خلاف الأخلاص ، قال تعالى : " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ " (الزمر : ٢- ٣) .

ولا تكون من دون بصيرة لأنها خلاف الهداية ، فالهادي لا بد أن يكون مهديا ، قال تعالى : " اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ " (يس :- ٢١) .

قال تعالى في سير المبصر : " أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " (الزمر : ٢٢) .

والبصيرة نور يكون مع الإيمان يتلمس معه المؤمن نور الهداية ، وبه يفرق بين الحق والباطل ، قال تعالى : (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعلمون) (الأنعام : ١٢٢) .

فهو نور لحياة أخرى ، او قل حياة جديدة بنور يميزه بين الناس ، ثم ذكر تعالى في آية اخرى طريق تحصيل ذلك النور في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم) (الحديد : ٢٨) .

فقوام تحصيل نور البصيرة بأمرين هما تقوى الله تعالى و الإيمان برسوله صلى الله عليه وآله ، ثم ذكر تعالى في آية أخرى عمل ذلك النور ، اي كونه مفرقا بين الخير والشر ، والهدى والظلال ، بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) (الأنفال : ٢٩) .

ومن كلام لأmir المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد رض في بيان الرابطة بين العلم وروح اليقين والآثار المترتبة على تلك العلاقة ، قال عليه السلام : " اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَإِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا لئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ . وَكَمْ ذَا وَ أَيْنَ أَوْلَيْكَ وَ اللَّهُ الْأَقْلُونَ عَدَدًا وَ الْأَعْظَمُونَ قَدْرًا يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَ بَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُوَدِّعُوهَا نَظْرَاءَهُمْ وَ يَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ هَجْمَ بِهِمُ الْعِلْمِ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ وَ بَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ وَ اسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتَرَفُونَ وَ أَنْسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وَ صَحَبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِ أَرْوَاحِهَا مُعَلَّقَةً بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى أَوْلَيْكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَ الدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ آهَ آهَ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ " ١ .

فالذي هجم بهم هو العلم بالله تعالى على حقيقة البصيرة ، فولد روح اليقين ، وجعلهم مباشرين لها لا مجرد متحدثون عنها ، والتي ولدات آثار ذلك ، من كونهم " اسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتَرَفُونَ وَ أَنْسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وَ صَحَبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِ أَرْوَاحِهَا مُعَلَّقَةً بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى " ، فزهدوا في الدنيا ، وتعلقت قلوبهم بالسماء ، وهو الذي صيرهم " أَوْلَيْكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَ الدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ " ، وتشوق عليه السلام الى رؤيتهم .

١ نهج البلاغة : الحكمة (١٤٧) .

وروى الشيخ الكليني رض في الكافي ما يقرب عن كلمة أمير المؤمنين المتقدمة ما يبين ان المشار إليهم في الكلمة المتقدمة هم أصحاب البصيرة ، الثابتون على نهج الحق ، فعن أبي حمزة عن أبي إسحاق قال: حدثني الثقة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أنهم سمعوا أمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبة له:

" اللهم وإني لاعلم أن العلم لا يأزر كله، ولا ينقطع مواده وإنك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع أو خائف مغمور، كيلا تبطل حججك ولا يضل أولياؤك بعد إذ هديتهم، بل أين هم وهم؟ اولئك الاقلون عددا، والاعظمون عند الله جل ذكره قدرا، المتبعون لقادة الدين: الائمة الهادين، الذين يتأدبون بأدابهم، وينهجون نهجهم، فعند ذلك يهجم بهم العلم على حقيقة الايمان، فتستجيب أرواحهم لقادة العلم، ويستلينون من حديثهم ما استوعر على غيرهم، ويأنسون بما استوحش منه المكذبون، وأباه المسرفون اولئك أتباع العلماء صحبوا أهل الدنيا بطاعة الله تبارك وتعالى وأوليائه ودانوا بالتقية عن دينهم والخوف من عدوهم، فأرواحهم معلقة بالمحل الاعلى، فعلمائهم وأتباعهم خرس صمت في دولة الباطل، منتظرون لدولة الحق وسيحق الله الحق بكلماته ويمحق الباطل، ها، ها، طوبى لهم على صبرهم على دينهم في حال هدنتهم، وياشوقاه إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم

وسيجمعنا الله وإياهم في جنات عدن ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم" .^١

فأشار عليه السلام الى الثابتين ووصفهم بأنهم " أولئك الاقلون عدداً، والاعظمون عند الله جل ذكره قدراً، المتبعون لقادة الدين: الائمة الهادين، الذين يتأدبون بأدابهم، وينهجون نهجهم " فاتباعهم للقادة وهم أئمة الدين عليهم السلام والتأدب بأدابهم ، والنهج لنهجهم هو الباب الذي يفتح للعلم ان يهجم على روح اليقين ، " فعند ذلك يهجم بهم العلم على حقيقة الايمان " ، وحيثذ " فتستجيب أرواحهم لقادة العلم، ويستلينون من حديثهم ما استوعر على غيرهم، ويأنسون بما استوحش منه المكذبون، وأباه المسرفون " ثم ذكر عليه السلام أنهم " اولئك أتباع العلماء " أي الأئمة عليهم السلام ام مطلق العلماء ، ثم وصفهم بالزهد عن الدنيا والتلق بالغيب " صحبوا أهل الدنيا بطاعة الله تبارك وتعالى وأوليائه ودانوا بالتقية عن دينهم والخوف من عدوهم، فأرواحهم معلقة بالمحل الاعلى " .

وروى الشيخ الصدوق بسنده الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب _ عليهم السلام _ أنه قال للحسين عليه السلام : ((التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق، المظهر للدين، والباسط للعدل، قال الحسين: فقلت له: يا أمير المؤمنين ! وإن ذلك لكائن ؟ فقال - عليه السلام - : إي والذي بعث محمداً _ صلى الله عليه وآله وسلم _ بالنبوة، واصطفاه

١ الكافي ج ١ ب : نادر في حال الغيبة ص ٤٩٦.

عَلَى جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ، وَلَكِنْ بَعْدَ غَيْبَةِ وَحِيرَةٍ، فَلَا يَثْبُتُ فِيهَا عَلَى دِينِهِ إِلَّا الْمُخْلِصُونَ الْمُبَاشِرُونَ لِرُوحِ الْيَقِينِ الَّذِينَ أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِيثَاقَهُمْ بَوْلَايَتِنَا، وَكَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ))^١ .
 فالثابتون هم المخلصون المباشرون لروح اليقين .
 اللهم ثبت اقدامنا ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا .

الثبات مع الخشية

٥ - ولا تتم دائرة الثبات إلا مع الخشية من الله وحده في تبليغ رسالات السماء ، قال تعالى: "ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل و كان أمر الله قدرا مقدورا، الذين يبلغون رسالات الله و يخشونه و لا يخشون أحدا إلا الله و كفى بالله حسيبا"(الأحزاب: ٣٨-٣٩) .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : ((أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ وَسَبْلُهُ قَاصِدَةٌ مَنْ أَخَذَ بِهَا لِحَقٍّ وَغَنِمَ وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ))^٢ .
 فالأخذ بالشرائع لاحق وغانم وهو مستخلف ، والتارك لها وواقف عنها في تبليغها ضال ونادم وهو مستبدل .

١ كمال الدين وتمام النعمة : ب٢٦ ح١٦ ص ٣٠٥ .

٢ (نهج البلاغة: الخطبة : ١١٨) .

ولا أخذ بشرائع الله تعالى إلا مع الخشية منه دون غيره ، والتي هي سجية الأنبياء " يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله " فالخشية من الله تمتع من الأستحياء من إظهار شريعته تعالى ، وتبليغ رسالته ، لأنه لا منظور إليه واقعا إلا الله تعالى .

ومن هنا كانت خشيته تعالى عنصر الثبات الأهم في الأستخلاف ، وخشية غيره عنصر الزلل والأستبدال ، قال تعالى عن الأول : " الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل " : (آل عمران: ١٣٧).

فمدحهم الله تعالى بأنهم لم يخشوا الناس في عين أن الناس خوفوهم ، وفي القبال ذم الثاني (المستبدل) فقال: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظَلْمُونَ فَتِيلًا " (النساء: ٧٧) .

فكم من فرق بينهما ، ومن صانع وجها واحدا كفاه الوجوه ، قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ " (الملك: ١٢) ، وانما هو استزلال الشيطان لهم ، قال تعالى : (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) (آل عمران: ١٧٥) ، وهو الذي ذكره أمير المؤمنين عليه السلام : ((وَ مَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَ نَدِمَ)) .

وقال تعالى في ثبات المؤمنين: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " (المائدة: ٥٤) .

فوصف تعالى المستخلفين بأنهم "يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ" . بالاضافة الى جبههم له تعالى ، وحبه لهم .

وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله ((لا تخافن في الله لومة لائم يكفيكم من أرادكم و بغى عليكم ، و قولوا للناس كما أمركم الله ، و لا تتركوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فيولئ الأمر شراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، و عليكم بالتواصل و التبادل ، و إياكم و التدابر و التقاطع و التفرق و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الإثم و العدوان و اتقوا الله ان الله شديد العقاب))^١

وفي الكافي عن إبراهيم بن عمير اليماني، عن أبي عبد الله عليه السلام: " إن المؤمن ولي الله يعينه ، ويصنع له ولا يقول عليه إلا الحق ولا يخاف غيره " .^٢

١ " نهج البلاغة -الكتاب (٤٧) . وهي جامعة لمفردات التبليغ التي لا يخشى فيها إلا الله تعالى .

٢ الكافي ج ٢ ح ٥- باب حق المؤمن على أخيه وأداء حقه .

وفي الوسائل عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : سمعت جابر بن عبدالله الانصاري يقول : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) مر بنا فوقف وسلم ثم قال :... طوبى لمن شغله خوف الله عز وجل عن خوف الناس " ١ .

وفيه عن أبي ذر ، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) - في حديث - قال : قلت : يا رسول الله اوصني ، قال : أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الامر كله قلت : زدني ، قال : عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيرا (٢) ، قلت : زدني ، قال : عليك بطول الصمت (٣) ، قلت : زدني قال : إياك وكثرة الضحك (٤) ، قلت : زدني ، قال : عليك بحب المساكين ومجالستهم قلت : زدني ، قال : قل الحق وإن كان مرا ، قلت : زدني ، قال : لا تحف في الله لومة لائم " ٢ .

و من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر : " و إن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله و أن يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه منه و إن أحسن الناس ظنا بالله أشدهم خوفا لله و اعلم يا محمد بن أبي بكر ؟ أنني قد وليتكم أعظم أجنادي في نفسي أهل ؟ مصر ؟ فأنت محقوق أن تخالف على نفسك و أن تنافح عن دينك و لو لم يكن لك

١ الوسائل ج١٥ ص٢٦٩ .

٢ نفس المصدر

الممكنون في الأرض

إِلَّا سَاعَةً مِنَ الدَّهْرِ وَلَا تُسَخِّطِ اللَّهُ بَرِيضًا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ " ١ .
ومن كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضى الله عنه:

" وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ وَمَلَكَ بِهِ الْإِمَاءَ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجُورُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ " ٢ .

الثبات بالابتعاد عن الذنوب

٦- الابتعاد عن الذنوب ، : " أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ " (الأنعام:٦). فالتمكين البقائي كان بما هيئ لهم من سبيل الأستقرار الذي هو الصورة الأولى من سبل التمكين الثلاث ، ثم عقب ذلك بالفاء في قوله : " فأهلكناهم " المعطوف على { مكنناهم } وما بعده. ثم ذكر سبب ذلك بقوله : { بذنوبهم } ، أي تعقب التمكين الإهلاك بعد أن أذنبوا ، فالتقدير : مكنناهم فأذنبوا فأهلكناهم بذنوبهم ، فالأستبدال جاء بذنوبهم . وقد جعله تعالى عبرة لمن يليهم من القرون ،

١ نهج البلاغة : الكتاب : ٢٧ .

٢ نهج البلاغة : الخطبة : ١٥ .

كما في قوله تعالى : " أَوْلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَأَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ " (الأعراف: ١٠٠) .

وكذلك في قوله تعالى : " أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ " (غافر: ٢١) .
حيث الآثار والقوة في لم تشفع في بقاء التمكين مع الذنوب .

فلا ثبوت مع الذنوب ، بل الزلل إنما يكون مع الذنوب ، قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ " (آل عمران: ١٥٥) .

الكاشف عن أثر الذنوب في الزلل ، وعدم الثبوت ، قال تعالى : " وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " (النحل: ٩٤) .
فنقض اليمين والعهد مصداقا للذنوب التي أوجبت الزلل .

الممكنون في الأرض

كلمة الحسنی للمستضعفين

فان تمت عناصر الثبات ، بقدم الصبر والمجاهدة فتح باب الأسخلاف ، وجمع البقاء مع الكمال ، قال تعالى في المستخلفين بين الثبات : " قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ " (الأعراف : ١٢٨-١٢٩) .

فالذي أوصى به عليه السلام هو الأستعانة بالله والصبر ، الممهّد لتمام الكلمة الحسنی ، بحقق الوعد الإلهي باستخلاف الثابتين على منهج الحق ، قال تعالى : " وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةَ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ " (الأعراف:١٣٧).

ولا يقف هذا الوعد عند أمة أو جماعة بل هو وعد الهي لكل الثابتين بعد الأحسان ، قال تعالى : " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " (النور:٥٥) .

فالاستخلاف لهم في الأرض بعد الثبات الذي عبر عنه " آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ " . ليس منحصرًا بقوم بل " لِيَسْتَخْلَفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ " ، والتمكين اللاحق إنما هو تمكين الكمال بإقامة الدين ، الذي هو اشرف تمكين ، وأجل أكرام للمستخلف ، والذي ذدره بقوله تعالى " وَلِيَمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى " .
اللَّهُمَّ اني أسألك أن تجعل فيما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم في الأمر الحكيم، من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل أن تجعل فيما تقضي وتقدر، أن تطيل عمري في خير وعافية، وتوسع في رزقي، وتجعلني ممن تتصبر به لدينك ولا تستبدل بي غيري .

البحث الرابع

جزاء الثابتين: الدين الذي ارتضى ، الأمن ، توحيد العبادة

فإذا أنتهى بالعبد بعد الأحسان والثبات الى تمام الكلمة الحسنى بإقامة الدين ، والأسخلاف من رب العالمين ، تهيئ له الجزاء الوفاق ، والتفضل والأسحقاق ، وكان له من الله تعالى ثلاث مباركات إليها منتهى الخير والكمال ، قال تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون(النور:٥٥) .

فالآية الكريمة بيان لقضاء رباني مكتوب على نحو القضية التكوينية من أنه تعالى قد وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من كل فئة أو أمة الأسخلاف في الأرض كما قد أجراه تعالى لمن قبلهم ، بمعنى ان يجعل لهم اليد العليا ، والكلمة الطولى النافذة ، في إجراء أحكامه وأقامة دينه مع الأمن ورفع الخوف عنهم . فكل جماعة إلترمت مهنج الأحسان والثبات مكن لها في الأرض .

وهذا الوعد شامل لجمع من أمن وعمل صالحا من هذه الأمة لقوله تعالى : " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ "

فمنكم تخصيص لهذه الأمة . وفي قوله تعالى : { لَيْسَتْخَلْفَنَّهُمْ } ، قسم
اللهي باللام الموطئة لقسم محذوف : أي وعدهم الله ، وأقسم في وعده
ليستخلفنهم .

وهذا التمكين متعقب لطاعة الله تعالى والإيمان به ، والعمل الصالح ،
وأنه جزاءه تعالى لهم ، قال تعالى في حقهم: { وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ
إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } ﴿ الحج
٤٠- ٤١ ﴾ وكذلك قوله تعالى : { إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ
أَقْدَامَكُمْ } ﴿ محمد : ٧ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

ومن الآيات الموضحة لذلك : قوله تعالى : { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى
الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُتَمِّكُنَّ
لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ
{ القصص : ٥٦ } و وعد موسى عليه السلام لبني إسرائيل: { عسى
رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ }
﴿ الأعراف : ١٢٩ ﴾ وتحقق ذلك الوعد لهم بقوله تعالى : { وَأَوْرَثْنَا
الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُّونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا
فِيهَا } ﴿ الأعراف : ١٣٧ ﴾ .

وأوضح من الجميع قوله تعالى : { ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين وما
أرسلناك إلا رحمة للعالمين } ﴿ الأنبياء : ١٠٥ ١٠٧ ﴾ الشامل هذا الوعد

الممكنون في الأرض

لكل عبد صالح ، وأنه بلاغ للعابدين المشعر قوله تعالى " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " . أن الممكن لهم بأقامة الدين رحمة للعالمين ، وأنهم على هدي النبوة .

فالمستخلفون بعد الثبات لهم ثلاث :

١- تمكين الدين الذي ارتضاه الله تعالى لهم " وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم " .

٢- تمكين الأمن بعد الخوف " وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا " .

٣- تمكين توحيد العبادة " يعبدونني لا يشركون بي شيئاً " .

وهذا النحو من التكريم بالتمكين لا يخرج عن دائرة الحكمة الإلهية في بقاء الأبتلاء ، فلا يكون العبد بعد الشمول بهذه الرعاية معصوما من الزلل ، بل هو مع التكريم يدخل في دائرة الأبتلاء الجديد والذي يتطلب نحو آخر من الثبات ، قال تعالى في الآية المتقدمة بعد بيان الأمور الثلاثة التي تكون للممكنين : " ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون " (النور: ٥٥) .

وقال تعالى : { عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون } ﴿ الأعراف : ١٢٩ ﴾ ، فالثبات سابق على تمكين الأستخلاف ولاحق .

جزاء المستخلفين في الأرض

1- تمكين الدين

وأول نعم غيث التمكين هي نعمة إقامة الدين ، وإحياء سنته ، والتي ذكرها تعالى بقوله : { وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ } . والدين الذي ارتضاه تعالى لهم هو الإسلام ، كما في قوله تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } المائدة : ٣ .

فهو تعالى قد رضي الإسلام لهم ديناً ، وهو دينه تعالى الذي عنده ، كما في قوله تعالى : { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } ﴿ آل عمران : ١٩ ﴾ . ومن هنا لم يرتض تعالى غيره ديناً ، كما في قوله تعالى : { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } ﴿ آل عمران : ٨٥ ﴾ ، فالدين الذي تمت به النعمة ورضيه لعباده هو الإسلام .

ولما كان التمكين في قوله تعالى : { وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ } ، هو عين " وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا " ، كان التمكين هو إقامة أحكام الإسلام ونشر تعاليمه ، التي ذكرها بقوله تعالى : (الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ " . (٤١) فالتمكين اللاحق للاستخلاف وهو باقامة العدل والقسط ، والذي حكاه تعالى بقوله : { إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ

ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى { (النحل : ٩٠) الذي به تحقق الحكمة من بعثة الأنبياء ، قال تعالى : " لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ " (الحديد : ٢٥) .

إقامة الإسلام

وحيث كان الدين الذي أرتضاه تعالى نفسه هو الإسلام كان التمكين فيه بتحقق حقيقته فيهم وإقامته في غيرهم ؟ فيهم قام الإسلام و به قاموا .

أما تحققه فيهم فهو ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في حقيقة الإسلام : " لَأَنْسَبَنَّ الْإِسْلَامَ نَسَبَةً لَمْ يَنْسَبْهَا (لم ينسبه) أَحَدٌ قَبْلِي الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ وَ الْيَقِينُ هُوَ التَّصَدِيقُ وَ التَّصَدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ وَ الْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ وَ الْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ " . (نهج البلاغة : الحكمة : ١٢٥) .

فالإسلام الحقيقي الذي مكن لهم هو التسليم ، وهو الذي دعا تعالى عباده إليه بقوله : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ " (البقرة : ٢٠٨) .

ويتحقق التسليم بإتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ قَوْلًا وَعَمَلًا وَقَلْبًا . قال تعالى : " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
" (الأحزاب: ٦٥) .

وعن عبدالله بن يحيى الكاهلي قال: قال الصادق عليه السلام: " لو أن قوما عبدوا الله تعالى وحده ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، و حجّوا البيت ، و صاموا شهر رمضان ، ثم قالوا لشيء صنع الله تعالى ، أو النبي صلى الله عليه وآله : ألا صنع بخلاف الذي صنع ؟ ، أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين ، ثم تلا : " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً " (الأحزاب: ٦٥) ، ثم قال عليه السلام فعليكم بالتسليم " .^١

أما إقامتهم له بتحقيقه على أرض الواقع ، قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الأسلام : " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلَقَهُ وَسَلَامًا لِمَنْ دَخَلَهُ وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وَتَبَصَّرَ لِمَنْ عَزَمَ وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ وَجَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ وَأَوْضَحُ الْوَلَائِحِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُشْرِقُ الْجَوَادِ مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ كَرِيمُ الْمَضْمَارِ رَفِيعُ الْغَايَةِ وَجَامِعُ الْحَلْبَةِ وَتَتَافَسُ السَّبْقَةِ شَرِيفُ الْفَرَسَانِ التَّصَدِيقِ مِنْهَاجِهِ

١ الكافي ج ٢ ب الشرك ح ٦ ص ٤٠٠.

الممكنون في الأرض

وَالصَّالِحَاتُ مَنَّارُهُ وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ وَالِدُنْيَا مِضْمَارُهُ وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ وَ الْجَنَّةُ سَبْقَتُهُ الْخُطْبَةُ " (الخطبة: ١٠٢) .

فهو " نُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ وَ لِبَاءً لِمَنْ تَدَبَّرَ وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وَ تَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ وَ عِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ وَ نَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ وَ ثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ وَ رَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ وَ جَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ وَ أَوْضَحُ الْوَلَائِحِ " ، وقال عليه السلام : " أظهر به الشرائع المجهولة، ووقم به البدع المدخولة ، وبيّن به الأحكام المفصولة . فمن يتبع غير الإسلام دينا تتحقق شقوته ، وتنقص عروته وتعظم كبوته ، ويكون مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الويل " (الخطبة: ١٥٩) .

وهذا النور والمنهج إنما يقوم به الممكنون به قال تعالى : " وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " (يونس: ١٠٥) ، وهذا القيام للدين هو المناسب للفطرة التي كانت سلامتها للممكنين ، قال تعالى : " فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ... ثم قال تعالى مبينا وجه القيام للدين ببيان إقامة فروضه ، من " مُبَيِّنٍ إِلَيْهِ وَأَتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ " ووحدة الكلمة والدعوة لها " وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ " (الروم: ٣٠-٣٢) .

وكذلك إقامة العدالة الاجتماعية " وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ " (الرحمن: ٩) .

وكذلك القضاء بالحق " وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَم يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا " (الطلاق: ٢) .
 وعدم المحاباة بها ، قال تعالى : " وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ أِثْمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ " (البقرة: ٢٨٣) والتي يجمعها عنوان : " الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور " . والذي أمر به تعالى لتحقيق العدل ونفي الظلم بقوله : { إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى } ﴿ النحل : ٩٠ ﴾ .
 ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام قاله للخوارج ، عن أهل صفين : " ولكننا إنما أصبنا نقاتل إخواننا في الإسلام ، على ما دخل فيه من الزيف والاعوجاج ، والشبهة والتأويل (الخطبة : ٢٣١) .
 ولا يقف الدين في إقامته للممكنين في الأرض على كثرة وناصر ، بل على تسليم وبصيرة ، وإيمان بوعده الصادق ، في قوله تعالى : " وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " . ﴿ الحج : ٤٠-٤١ ﴾ وقوله تعالى : { إِنْ تَصَرُّوْا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } ﴿ محمد : ٧ ﴾ . المطلقة من ناحية العدة والعدد .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في كلام لعمر بن الخطاب وقد استشاره في غزو الفرس بنفسه: " إِنْ هَذَا الْأَمْرُ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةِ وَلَا قَلَّةِ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَجَنَدَهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ

الممكنون في الأرض

وَطَلَعَ حَيْثَمَا طَلَعَ وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَنَاصِرٌ جُنْدُهُ" ١ .

فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ((وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَهُ)) إِشَارَةٌ إِلَى نَصْرَتِهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ ، قَالَ تَعَالَى فِي نَصْرَةِ الْمُسْتَضْعَفِينَ : " إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ " (الأنفال: ٩-١٢) .

وَقَالَ تَعَالَى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا " (الأحزاب: ٩) وغيرها من الآيات .

١ نهج البلاغة : الخطبة ١٤٤ .

2- تمكين الأمن

ومع التمكين للدين ، وإعلاء كلمته ، يتولد الأمن والأستقرار النفسي والأجتماعي : " وَلَيُبدِلنَّهْم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا " ، وقد حصل مصداق ذلك في قوله تعالى : { واذكروا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ " (الأنفال : ٢٦) وكذلك ما حكاه عن قوم نوح و هود و صالح و شعيب في قوله تعالى : " و قال الذين كفروا لرسلمهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين و لنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي و خاف وعيد " (إبراهيم - ١٤) . وكذلك في قوله تعالى : " وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ " (القصص:٦).

ومجموع الآيات وان كان يفيد الأمن مع السلطان وبسط اليد ، ولكنه لا يابى الأنطباع على ظهور الدين ، ونفوذ كلمته ، والتي توجب الأمن لأتباعه في إقامة أحكامه ، وترويج شرائعه ، كما هو حاصل في وجهة أرباب الديانة والأخلاص ، من دفع المنكر و اظهار معالم الدين .

بل مع الدين يحصل الأمن النفسي الذي يسري بطبعه اجتماعيا مع تمكنه في نفوس المؤمنين ، ومع لا خوف ينفي ذلك الأمن حتى مع وجوده ، قال تعالى : " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ

جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " (آل عمران: ١٧٣).

فلم يزددهم التخويف إلا ثباتا وإيمانا ، فكان الجزاء المترتب على ذلك كثير رسوخ في الطمانينة والثبات ، قال تعالى تلوا قولهم المتقدم : "فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ وَفَضْلِ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ" (آل عمران: ١٧٤). فدفع عنهم السوء الموجب للخوف بما اوجب لهم تعالى من النعمة والفضل ، ثم بين تعالى تلوا ذلك أن منشأ الخوف من ولاية الشيطان ، والمؤمن الثبت لا ولاية للشيطان عليه حتى يدخل عليه الخوف السالب للأمن ، قال تعالى : " إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (آل عمران: ١٧٥) .

بل لم يسلب تهديد فرعون إيمان السحرة بعد ثبوته ورسوخه عند إقنيادهم لعظم برهان الله تعالى ، قال تعالى في بيان إيمان السحرة ، وتوعد فرعون لهم ، وثباتهم عند ذلك : " قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا نَنْقُمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ أَمَّنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنا رَبِّنَا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين " (الأعراف: ١٢٣-١٢٦) .

فهذا الأمن والثبات وليد رسوخ الإيمان السالب للخوف ، فلا يبالي المبصر بما يقع عليه إذا كان على بصيرة من أمره ، قال تعالى في بيان ذلك عنهم : " لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ " (الشعراء:٥١) . فلا ضير عندهم بما يقع عليهم بعد كون المنقلب هو الذي يكون نصب أعينهم . فالأمن وليد الدين الحق ، ومع تمكن الدين ينشرح الأمن على النفس ويخلق الطمئينة الاجتماعية .

3- تمكين توحيد العبادة

والى هنا حيث تنتهي دعوة الأنبياء ، والغاية التي ييغونها ، حيث لا معبود سواه ، فالممكن لهم يتتهون الى هذه الجائزة ، فقوله تعالى: "يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا" يعني به عبادة الإخلاص بحقيقة الإيمان بقرينة قوله تعالى: " لا يشركون بي شيئا " ، مع أنه تعالى يعد بعض الإيمان شركا ، قال تعالى: " وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون" (يوسف - ١٠٦) ، وهو نحو من الشرك العملي ، فهذا تمكين وعد الله تعالى به عباد الصالحين من تصفية الأرض و تخليتها للمؤمنين يوم لا يعبد فيه غير الله حقا.

وهو شرعة الأنبياء التي وصاهم بها ، والتي غيرها البغي ، ولا ترجع إلا مع الاستقامة والثبات وهي التي تكون مع نفي الهوى الثابت للممكنين في الأرض ، قال تعالى : " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٌ (١٤) فَلِلَّذَلِكَ فَادَعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ أَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ " (الشورى : ١٥) .

وقال تعالى في دعوة الإخلاص وتوحيد العبادة : " قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ " (الأعراف: ٣٠) .
فالقسط قرين إقامة الوجه بالاستقامة بالاخلاص .

خاتمة في سنة الاستبدال والاستخلاف في القرآن

وهنا حيث دار التغير والتبدل ثمة سنة جارية وقضاء رباني يجري مجرى الليل والنهار ، مفاده انه ما تمر ساعة على عبد من عباد الله تعالى إلا وهو إما في طريق الإستخلاف وإما في طريق الإستبدال ، وأما هو أحدهما ، فالحكمة والوعد والسنة الإلهية جارية ، وحكمها على الجميع واحد .

فلا إيمان المؤمن مؤمن له الثبات مع عدم إلتزامه بعناصر الثبات ، ولا غير المؤمن عدم إيمانه مانعه من إستخلافه مع طلبه للهدى والإستقامة ، قال تعالى عن الأول : " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم " . (المائدة - ٥٤) ، فهو وعد إلهي للمؤمنين بأن المتخلي عن رسالته ودينه مستبدل ، وان المستخلف يحمل هم الرسالة والحب لله تعالى لا تأخذه في الله لومة لائم ، وقال تعالى عن الثاني : " فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً آمَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ " (يونس:٩٨) . فالإيمان رفع عنهم العذاب ، وأوجب لهم التمتع الى حين .

ولا بقاء الإ مع الثبات ، قال تعالى: " و كآين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله و ما ضعفوا و ما استكانوا و الله يحب الصابرين و ما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا و إسرافنا في أمرنا و ثبت أقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين " . (آل عمران - ١٤٧) .

ولا يمكن لقوم أو شخص الإ وقانون الأبتلاء قرينه ، كما بينه موسى عليه السلام لبني إسرائيل بعد وعدهم بالإستخلاف: " قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ" (الأعراف:١٢٩) ، فالإستخلاف ليس بعاصم من الأبتلاء ، قال تعالى: " قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ آبَائِهِمْ لِمَا نَقَلْتُمُوهُمْ أَوْ يَسْلَمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" (الفتح:١٦) ، وكذلك في قوله تعالى: " هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعُونَ لِنُتَفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ" (محمد:٣٨) ، وقال تعالى في الإستبدال: " إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (التوبة:٣٩) .

ولا تنفع الحيلة في بقاء قوم أو فرد مع عدم الاستقامة ما حكاه القرآن في قوله تعالى: (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من

شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحق بهم ما كانوا به يستهزؤون " (الاحقاف: ٢٦) .

فمع تحقق جميع وسائل التمكين والبقاء ، وكذلك أدوات الكمال من السمع والبصر والفؤاد ، لم تنفعهم في البقاء ، بعد عدم القيام بوظائف البقاء .

ولا بقاء مع عدم الطاعة والإنقياد للقادة الربانيين كما تقدم في عناصر الثبات ، قال تعالى : ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠))) فكان هذا تمكين لهم ، تعقبه هذا النحو من الإمتحان في طاعة القادة الإلهيين ((يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) فكانت صورة التولي وعدم الطاعة الموجبة للاستبدال متمثلة بموقفهم من دعوته " قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) في قبال صورة الطاعة والإنقياد الموجبة للثبات متمثلة بموقف قلة منهم " قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) ثم كان الموقف النهائي الذي اوجب الاستبدال " قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ

أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ))
(المائدة: ٢٠-٢٦) ، فبعد أن كانوا ملوكاً أصبحوا تائهين .

وتكررت القصة معهم مع نبي آخر ، والموقف الموقف والنتيجة النتيجة :
" فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ " (البقرة: ٢٤٩) .

الدولة والتمكين علاقة المقدمة بالغاية

وليس سؤال الملك والتمكين لأولياء الله تعالى إلا لإقامة دين الله وحدوده ، قال تعالى : " قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ " (يوسف: ٥٥) . فينصروا الله بذلك فينصرهم ، وما نصرهم له تعالى وهو القوي العزيز الإياقامة دينه ، قال تعالى : " وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِذْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ " (الحج: ٤٠-٤١) ، فهم ينصرون الله تعالى وهو ينصرهم بأن يجري الخير على ايديهم للعباد ، ويحيي بهم ميت البلاد ، قال تعالى : " وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا " (الجن : ١٧) .

وكذلك في قوله تعالى : " وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ " (المائدة : ٦٦) وقوله : { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } { الأعراف : ٩٦ } وقوله تعالى : { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } { نوح : ١٠ - ١٢ } .

المشيئة الى أن الاستقامة على الطريقة القويمية موجبة لفتح بركات من السماء والأرض ، ولا تقام الشريعة والطريقة القويمية إلا بمن انتصر الله تعالى وثبت على صراطه .

وفي رواية محمد بن إسماعيل ابن بزيع التي تقدمت إشارة الى ذلك ايضا ، قال : قال أبو الحسن الرضا عليه السلام : (إن الله تعالى بأبواب الظالمين من نور الله له البرهان ، ومكن له في البلاد ، ليدفع بهم عن أوليائه ، ويصلح الله بهأمور المسلمين ، إليهم ملجأ المؤمن من الضر ، وإليهم يفرح ذوالحاجة من شيعتنا ، وبهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظلمة ، أولئك المؤمنون حقا ، أولئك أمناء اللهفي أرضه ، أولئك نور في رعيتهم يوم القيامة ، ويزهر نورهم لأهل السماوات كما تزهو الدرية الأهل الارض ، أولئك من نورهم يوم القيامة تضئ منهم القيامة ، خلقوا والله للجنة ، وخلق للجنة لهم ، فهنئنا لهم ، ما على أحدكم أن لو شاء لنا لهذا كله) ، قال : قلت : بماذا ؟ جعلني الله فداك ، قال : (يكون معهم فيسرنا بإدخال السرور على المؤمنين من شيعتنا ، فكن منهم يا محمد) .¹

١ رجال النجاشي ترجمة محمد بن إسماعيل بن بزيع.

خاتمة وتلخيص

البحث المتقدم رؤية قرآنية تشكل ورقة عمل الممهدين لإقامة دين الله تعالى ولا يكاد يثبت التمكين إلا لمن التزم طريق الاستقامة المتمثل بجملة النصوص المتقدمة وهي رؤية تتدرج ضمن خطوات :

١- ان التمكين يكون بتهيئة سبل البقاء والكمال ، والأول بتفضل منه تعالى والثاني جزائي .

٢- والأول يستبدل مع عدم القيام بشكر النعمة ، والثاني لا يثبت إلا مع الأتصاف بصفة الإحسان ، ولا إحسان الا مع القيام بشؤونه المستفادة من الآيات المتقدمة في ذلك .

٣- ومع الاحسان استخلاف وإبتلاء ولا تجاوز للابتلاء الا مع الثبات ، ولا ثبات الا مع القيام بشؤونه التي ذكرتها النصوص .

٤- ومع الثبات تمكين واستخلاف مع أمن وتوحيد العبادة ويكون الدين لله .

اللَّهُمَّ اِنَّا نَرْغَبُ اِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعَزِّزُ بِهَا الْاِسْلَامَ وَاَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَاَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ اِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ اِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.... وَتَجْعَلَنِي مِمَّنْ تَنْتَصِرُ بِهِ لِدِينِكَ وَلَا تَسْتَبْدِلْ بِي غَيْرِي .

والحمد لله أولا وآخرا

عصر السابع والعشرين من شهر رمضان لسنة ١٤٣٩

الشيخ عماد مجنون

الفهرس

٩	أهمية البحث.....
١٠	خطة البحث.....
١١	الفصل الأول: التمكين الهوية والأقسام.....
١١	البحث الأول: التمكين هويته القرآنية.....
١٢	البحث الثاني: القران والتمكين.....
١٤	البحث الثالث.....
١٤	التمكين الأفاضلي: وسائل البقاء والكمال.....
١٨	الفصل الثاني: التمكين ، الغاية، والحكمة.....
١٨	البحث الأول: التمكين والابتلاء.....
٢١	البحث الثاني: التمكين والاستبدال.....
٢٤	البحث الثالث: التمكين والاستخلاف.....
٢٦	الأحسان والتمكين.....
٣٠	التمكين الأبتلاني.....
٣٤	تمكين الانتصار لله تعالى.....
٣٦	الممكنون في الارض.....
٣٩	الفصل الثالث : التمكين الجزائي: وفيه أربعة ابحاث.....
٣٩	البحث الأول -التمكين في الأرض وعد الصادقين.....
٤١	صور التمكين في الارض.....
٤٣	البحث الثاني- التمكين والنصر الإلهي.....
٤٥	البحث الثالث -عناصر الثبات للتمكين في الأرض.....

نظرة قرآنية

- كلمة الحسنی للمستضعفین..... ٦٤
- البحث الرابع..... ٦٦
- جزاء الثابتين: الدين الذي ارتضى ، الأمن ، توحيد العبادة..... ٦٦
- جزاء المستخلفين في الأرض..... ٦٩
- خاتمة في سنة الاستبدال والاستخلاف في القرآن..... ٧٩
- الدولة والتمكين علاقة المقدمة بالغاية..... ٨٣
- خاتمة وتلخيص..... ٨٥